كذا ضبطناهُ عن شيوخنا ». ثمّ يردف القلقشندي قولهُ بذكر ملك كانم ويليهِ ما حرفهُ : «ماركها من بيت قديم في الاسلام وجاء منهم من ادّعى النسب العلويّ في بني الحسن»(١ . ولهُ بعد ذلك في مملكة مَالي ما نصهُ : « وهي حيٌ في نهاية الغرب متّصلة بالبحر المحيط وهي اعظم ممالك السودان ». ثمّ يعرّف اصل ملكهم العربي (٢ بقولهِ : « وملك التكرور وهذا (ملك مالي) يدّعيان نسباً الى عبد الله بن صالح بن الحسن بن علي ابن ابي طالب »

فينتج من الشواهد السابقة انّ قبائل كثيرة عربيّة كانت تسكن اواسط افريقية على الاقلّ منذ القرن الثالث عشر وانّ بعضاً منها كان ينتسب الى حمير . الّا ان القلقشندي لم يرَ شيئاً عن لهجة هذه العشائر . فانّ صحّ قول الاستاذ كنيار (ولا نرى داعياً للشكّ في صحّتهِ) لا بدّ من القول انّ هذه القبائل تناقلت لهجتها الحاليّة من اجدادها وان قسماً من العرب القدماء كانوا في العصور الغابرة يلفظون حركات الاعراب كأهل فينيقية والاشوريين . هذا ونرغب الى قرّائنا الكرام ان يزيدوننا افادةً في هذا الصدد ان أسعدهم الحظ على وجود دلائل جديدة تُثبت حجّة الدكتور البارع

الكاهن والمريض

نبذة بقلم سيادة المطران جرمانوس معقّد مطران اللاذقيّة

اننا نرى بغاية الاسف بعض المسيحيين قد ضعفت فيهم الشعائر الدينيّة حتّى يؤدي بهم الفتور في الدين الى ان يتهاملوا في اهم فرائضهم . ومن الواجبات الكبرى التي يحكم بها الدين بل تقضي بها الانسانية ان يستدعي الاقارب الكاهن لمرضاهم وبعض الجهلة يتناسون بذلك زعماً منهم انّ دخول الكاهن على المريض يثير بلبالهُ ويزعج بالهُ في حين انّهُ هو طبيب الروح ومعزّي النفوس ومزيل الاشجان . وما هذا الّا وهمٌ بذرّهُ الشيطان في عقول البعض ليصطاد النفوس بحبائلهِ ويكتبها غنيمة باردة خزاهُ الله ووقانا شرّ اعمالهِ . وفي النبذة التالية ما يبيّن صريحاً ان في هذا الامر لشأناً كبيراً لا يتناول عنهُ الّا من كان عدوّاً ازوق لمريضهِ . وهي مقتطفة من كتابٍ تحت الطبع لسيادة الحبر الجليل والمطران الفاضل النبيل جرمانوس معقّد الجزيل الاحترام (المشرق)

١) ولارجح انهم ينتمون الى قبيلة بني الحسن الساكنة نواحي بحر النزال بين الكانم والوداي (راجع كتاب كنيابر ص ١٦٣)

٢) راجع رحلة ابن بطوطة (طبعة باريس الجزء الرابع) وفيها كلام مطوّل عن بلاد مالي لكن هذا الرحّالة الشهير لا يذكر شيئاً عن عروبة اهلها واصلهم

قد دهمت الحمّى الوبية زيدًا الشاب فوقع الرعب في قلوب ذويهِ وصاحوا بالطبيب فجاء مسرعًا وبعد ان جسَّ النبض ورأى اللسان وعرف درجة الحرارة وفحص عن سائر الاعراض. وَصف لهم الادوية اللازمة وذهب فتبعوهُ الى جهة الباب مستعلمين فاجابهم ان المرض ذو بال. فخفقت قلوبهم وجعلوا يجتهدون في المعالجة والتمريض. والداء يقوى ويشتدّ حتى أنذرت الاعراض بالخطر فدعوا اطبـاء آخرين. ولكن الطبيب الروحي لم يُدعَ. فجاء من تلقاء نفسهِ يعود العليل قيامًا بالواجب. ودخل البيت وسلّم على ذويهِ فقابلوهُ بوجوهٍ « ابغض من وجوه التجار يوم الكساد ». ثم سأل عن حال المريض فلم يبالوا بسؤالهِ ولا ردُّوا عليهِ ذات شفةٍ بل اشاروا اليهِ ان يدخل الصـاعة مجتهدين ان لا يدعوا المريض يراهُ او يشعر بقدومهِ. ولمَّا همَّ بالانصراف وطلب ان يعود العليل منعوهُ بحجَّة من الحجج المعلومة

فخرج مبتئسًا يقول في نفسهِ ان المريض لم يفقد شعورهُ بعد فيقدر الآن ان يعترف جيّدًا ويستعدّ للقاء ربّهِ حسنًا. وربَّما بعد قليل يدخل في غيبوبةٍ لا صحو بعدها فلا يستطيع قبول الاسرار المقدَّسة بانتباه. ولذلك ما لبث ان عاد ادراجهُ يلتمس الدخول عليهِ فضلَّ سعيهُ ولم ينل مرادهُ. وهكذا كان يمضي ويعود على غير طائل حتى بلغت روح العليل التراقي فبعثوا اليهِ برسولٍ يقول لهُ: « أسرع أسرع لعلَّك تدركهُ قبل ان تفيض روحهُ ». فعجّل الكاهن المسكين بالمسير ودخل على المحتضَر فوجدهُ جسمًا بلا روح او بين الحيّ والميت لا ينظر ولا يسمع. ناداهُ فما اجاب وخاطبهُ فلم يفهم. ولم يمضِ الّا قليـل حتى قال احدهم « مات ». اجل مات ميتة الاغرار محرومًا من اسرار الديانة ومؤازرتها

فعلى مثل هذا الميت يجب النوح والبكاء لانهُ لقي ربَّهُ بغير استعداد وعليهِ اوساخ المآثم التي لم يتطهر منها بجميم التوبة. وانتم ادرى بما وراء هذا اللقاء من شديد العقاب. فاي عزاء لقلوب ذويهِ وهذه صفة موتهِ المشؤوم. فيـا لهُ من حبٍّ كاذب حب هؤلاء الاهل القسـاة الظالمين الذين تركوا عزيزهم يموت ميتة الاشرار الغير التائبين حذرًا من ان يدركهُ حزن قليل او خوفٌ طفيف

فهذا مثال الطريقة المويمة التي يجري عليها كثيرٌ من المسيحيين وهو امرٌ يكاد لا يُصدَّق لفظاعتهِ وخروجهِ عن دائرة العقل ومضادتهِ للحبّ الصحيح. ولكنهُ واقعي لا

ريب فيه. ولهذا لا يلزمني العناية في اثباته بل في تقرير فظاعته. ومن ذا يتردَّد في نسبة القسوة البربريَّة الى من يقتل نفساً مشتراة بدم ابن الله. ألا يحكم العقل السليم بالجور والغلظة على من يوصد باب النجاة من العذاب الدائم في وجه عزيزه. وماذا يا تُرى يُقضى على من يمنع صديقهُ من نعيم سرمدي وفرح دائم لكي ينقذهُ من حزن ساعة واحدة. فيا ذوي الشفقة والحنو الذين يخافون على عليلهم من اغتمام يسير ولا يبالون بجعله عرضةً للهلاك الابدي أهذا في شرعكم عمل الشفقة والحبّ؟ فان كان هذا ثمر المحبة والاشفاق فعلى البغضة والقسوة السلام. والاجدر بالعليل ان يكون حولهُ اعداء لا حنان لهم لكي يتمكَّن من قضاء واجباته الدينيَّة والتأهب الحسن لملاقاة الديان الرهيب

غير انَّ هؤلاء القوم الرحماء يعتذرون قائلين: اننا لا نقصد اصلاً ان ندع عليلنا يموت بغير استعداد. ولكننا نؤجل مناولتهُ الاسرار المقدَّسة الى ان يتحقَّق الخطر وحينئذٍ نستدعي الكاهن ليهتمّ بذلك فلا نمنع دخول الكاهن عليه اوّل بدو الَّا حذرًا من تنبُّه فكرهِ لوجوده في خطر الموت. وما ادراك ما ينتج عن معرفته هذه من الهلع والاضطراب للذين يحولان دون شفائه. وربَّما عملا على تعجيل وفاته ايضاً. فدفعاً لهذا الخطر نؤجل عيادة الكاهن له الى حين ظهور الخطر او اشتداده فما نحنُ اذًا بملومين

وليس من الصعب دفع اعتذارهم هذا. لان المريض مهما كان ساذجاً يشعر بثقل وطأة الداء فيحسب للموت حسابًا ويشعر بشيء من الخطر ولو لم يعرف درجتهُ. فدخول الكاهن اليه لا يزيدهُ بالخطر علماً. ومن المعلوم ان الكهنة يلاطفون المرضى عادةً ويشجعونهم على احتمال مضض الداء بايراد بعض آيات الكتاب حتى يأنس العليل اليهم ويجد في حضورهم لديه عزاء عظيماً. وكثيرًا ما يحدث ان العليل يطلب من تلقاء نفسه الاعتراف والمناولة لمجرَّد رؤيته الكاهن او لسماعه منهُ شيئاً من الكلام الالهيّ الموافق لمقتضى حاله فادّعاء الاهل اذن باضطراب المريض وخوفه وهمٌ باطلٌ

ليت شعري اما يخاف العليل ويضطرب عند ما يرى حولهُ ثلاثة اطبَّاء يفحصون عن مرضه. كيف لا وهو يعلم ان جمعية الاطباء تدلّ على جسامة المرض. ومع ذلك فشفقة اهله عليه لا تمنعهم من عقد الجمعية. فلماذا تمنعهم مظنَّة خوفه عن استدعاء

الاطبّاء. اما يعدّ عملهم هذا ضلالًا رتيهًا بل ظلمًا لا يُغتفر

ان هذه القضية المقرّرة عند الكثيرين وهي: ان العليل يُذعر ويرتاع من عيادة الكاهن ليست صحيحة على وجهِ الاطلاق. فان صدقت في اشخاصٍ قليلين فذلك لظروفٍ خصوصيّة لم يتلافَها ذووهم وقد كانوا حقيقين بتلافيها بمثل قولهم للعليل ماذا تنفع الوسائط من دون الله. فعليك ان تلتجئ الى الطبيب السماوي ليعطف عليك ويسبل شفاءك. واذ ان احسن واسطة لاستعطافهِ هي الاعتراف فانتهز فرصة وجود الكاهن عندنا لاتمام هذا العمل المقدّس. فلا شكّ ان هذا الكلام وما مائلهُ ممّا تُلقّنهُ الظروف الخصوصيّة يجعل المريض نفسهُ يطلب الاسرار المقدّسة بجراءةٍ وعدم اضطراب. فيجد فيها تعزيةً عظيمة وينال بها نعومة البال التي تساعدهُ كثيرًا على استرجاع العافية اذا كان لهُ في الحياة نصيب. والّا فيكفيهِ منها تقديس نفسهِ وحصولهُ على ميتةٍ صالحة. وليس ذلك بالامر اليسير بل هو اعظم من كل امرٍ عظيم. وكل شيء سواهُ يحتقَر لاجل نيلهِ

ولتردُّد الكاهن الى السقيم فائدة اخرى جسيمة يشترك فيها العليل وذووهُ. وهي تشجيعهم وتلطيف آلامهم. وتذكيرهم بما يرفع قلوبهم الى الله ويهوّن عليهم احتمال البلاء. فانهم يجدون بهِ ابًا شفوقًا غيورًا على خير نفوسهم واجسادهم يشاركهم في مصابهم ويهتمّ بشؤونهم. ومن ذلك يتبيّن عظم المنفعة التي تفوت اولئك الذين يأبون استدعاء الكاهن الى عليلهم او يمنعون عيادتهُ لهُ

ولندع الفوائد التي تفوتهم ونكتفِ ببيان الاضرار الفظيعة التي تتأتى من منعهم استدعاء الكاهن. واخصُّها جعل نفس المريض عرضةً للهلاك السرمدي. وهو ضرر لا يماثلهُ ضرر. وكل ضرر سواهُ لا يُحسَب بازائهِ شيئًا مهما كان جسيمًا. ومنهُ ينتج ضرر آخر يختصّ باهلهِ وذويهِ وهو الندم المذيب الذي يحلّ بهم لموتهِ بلا اعتراف. وهو ندم لا يترك مجالًا للعزاء او نسيان المصيبة الى مدى الحياة. لانهُ من المعلوم ان العزاء يشتدّ او يضعف على قدر اشتداد الامل او ضعفهِ في كون الفقيد نال السعادة الابديّة وهما ضروران ترتعد لذكرهما الفرائص ويهون معهما الموت الزؤام

فيجب اذن على الذين هذا عملهم ان يقصوا عن اذهانهم هذا الوهم الموبق الذي يمثّل لهم كاهن الله بصورة رسول الموت ورائد المنية. مع كونهِ رسول السلام وحامي ذمار

النفس وراند امانها ونجاتها من فتك الابالسة بل هو تعزيتها الكبرى في آونة المحن. وواسطة تقديسها وتبريرها بما اتاهُ المخلص الرحيم من السلطان السامي العجيب. فاذا مرض احدكم فليستدع الكاهن ليعالج نفسهُ قبل جسدهِ لان النفس افضل من الجسد والله بشئونهِ وخلاصهِ كفيل

المعلم الياس ادّه الشاعر

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ذكا في زماننا زرع العلوم ونما فرعها وامتدّت في كلّ انحاء بلادنا افنانها فتمكّن من جناها احداث مداوستنا فضلًا عن علمائنا. ومع هذا كلهِ لا يزال تاريخ وطننا ملقىً في زوايا النسيان لا تكاد تجد من الالوف واحدًا يفتهُ الشيء اليسير من احوالهِ. فترى الشبّان ينظمون الشعر ويُحسنون فروع الآداب اللسانيّة ويعدّدون اخبار الدول الاجنبيّة ويتباحثون في الاكتشافات الحديثة وان سألتهم عن احوال بلادهم القديمة شيئًا انقطعوا عن الجواب كأنّهم فُتُوا في عضدهم. وما لي اذكر التواريخ القديمة ونحن لا نجد من يُحكم معرفة تاريخنا الحديث والاخبار التي جرت قبل عهدنا بمئة سنة بل اقلّ من ذلك

فحسنًا لهذا الداء قد جمعنا وسوف نجمع ان شاء الله في مجلّتنا هذه كلّ ما من شأنهِ ان يزيدنا علمًا بالوطن العزيز

وقد اخترنا اليوم لموضوع بحثنا احد مشاهير الشعراء الذين نبغوا في اواخر العصر الماضي واوائل العصر الحالي وهو المعلّم الياس ادّه الذي يجهل اسمهُ كثيرٌ من حفدهِ انفسهم مع أنّهُ برزَ في زمانهِ وتقلّب في المناصب العليّة وأضحى فخرًا لأُسرة تُعدُّ اليوم من اشرف العيال المارونيّة في الثغر بل مجدًا لطائفتهِ جمعاء ولكلّ اهل الوطن

اما النبذة التاريخيّة التي جمعناها في هذه الاسطر الوجيزة فهي منقولة من مخطوطاتٍ عديدة مصونة في خزانة كتبنا الشرقيّة نخصُّ منها بالذكر تاريخ احمد باشا الجزّار لميخائيل لطفي الحمصي وتاريخ الامير حيدر الشهابيّ المتنون الغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان وديوان الشاعر الشهير نيقولا الترك. ثمّ نشكر للطف الخواجا الياس افندي ادّه وشبلي افندي ادّه ولدي ناصيف ادّه الذين افادانا امورًا كثيرة عن المعلّم الياس جدّهما